مجلة جامعة عبد الرحمن السميط

مجلة مُحكّمة نصفيّة يصدرها مركز البحوث والنشر

أعضاء الهيئة الاستشارية

أ.د. حمد راشد حامد الحكماني/ المشرف العام
أ.د. مصطفي عبد الرحيم رشاش
أ.د. محمد الشيخ حمد
أ.د. سعيد السيد أحمد
أ.د. محمد علي الكامل
د. معراج أوكوتي أوسى

أعضاء هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير: أ. د/ يونس عبدلي موسى
رئيس التحرير: د. فوزي محمد بارو (فوزان)

مساعدو هيئة التحرير

أ.د. مسافري مشيوا
د. ناصر حماد بكار
د. محمد صالح عبد الله
أ. محمد حاج علي
أ. موانتمو علي حسن
أ. برهان مهونزي

SUMAIT University Journal of Scientific Studies,
P.O. Box 1933,
Zanzibar, Tanzania
Ph. +255-24-223-9396
E-mail: sumaitcrpc@gmail.com, abuikrama@yahoo.com, fowzaan75@gmail.com
Website: http://www.sumait.ac.tz
Annual Subscription: USD 60 (2 issues) for institutions, And USD 30 (2 issues) for individuals

السنة الثانية: العدد الثاني شوال 1438ه يوليو 2017

واقع اللـغة العربية فـي الصـومال- دراسـة تاريخـية وصـفيـة

د. فوزي محمد بارو (فوزان) *

Abstract

The relationship between Arab people and Somali people was a strong and comprehensive relationship in different aspects of life. The Arab impact and influence in each of these aspects is clear if you look at the language, or habits, customs or traditions, or literature, and arts or the religion. Also, in the culture generally we find a permanent and clear effect. It is also multifaceted where Somalia has become an integral part of the Arab nation.

The follower of the history of Somali people finds that the Arabic language is deeply rooted in its history, and that the Islamic and Arab heritage had overlapped in Somaliland. The Somali people used the Arabic language in the past as a means of correspondence and commercial transactions, documenting contracts, and other religious and worldly transactions, also in studies where the language of teaching in schools and centers was Arabic L before the invention of the alphabet letters for Somali language and even after the invention. The Arabic Language was a means of spreading religious sciences among members of the Somali society, and this effect is still preserved in ancient manuscripts.

* عميد كلية الآداب والدراسات الاجتماعية بجامعة السميط ونائب مدير مركز البحوث والنشر والاستشارة بالجامعة.

The Arabic Language is considered to be the second language in Somalia according to the constitution, since the country gained its independence in 1960.

مـــقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد؛

إن العلاقة بين الشعوب العربية والشعب الصومالي علاقة متينة وشاملة بجوانب الحياة المختلفة، والأثر العربي في كل ناحية من هذه النواحي واضح، فإذا نظرت إلى اللغة أو العادات والتقاليد أو الأدب والفنون أو الديانة، وعموماً الثقافة نجد أثراً ثابتاً وواضحاً، وأن هذه العلاقة قديمة ومتأصلة، فهي أيضاً متعددة الأشكال حيث أصبح الصومال جزءاً لا يتجزأ من الأمة العربية، ويبدو هذا الترابط قوياً واضحاً في الجانب اللغوي.

إن المتتبع لتاريخ الشعب الصومالي يجد أن اللغة العربية عميقة الجذور في تاريخه، وأن التراث الإسلامي والعربي قد تزامنا في أرض الصومال. هذا وقد استخدم الشعب الصومالي اللغة العربية في الماضي وسيلة للمراسلة وللمعاملات التجارية، وتوثيق العقود وغير ذلك من المعاملات الدينية والدنيوية، وإنها كانت وسيلة لنشر العلوم الدينية بين أفراد المجتمع الصومالي، وهذا الأثر لا يزال محفوظاً وباقياً في المخطوطات الأثرية القديمة.

لهذا التاريخ الطويل للغة العربية في الصومال ولهذه الفرصة التي أتيحت لها في ربوعه اخترت هذا العنوان لدراستنا. **"واقع اللغة العربية في الصومال: دراسة تاريخية وصفية "**

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن علاقة الصومال بالشعوب العربية قديماً وحديثاً، وتتطرق أيضاً إلى دخول اللغة العربية في الصومال، والعوامل المساعدة على انتشارها في رُبوع الصومال.

وكما تهدف أيضاً إلى الحديث عن أوضاع اللغة العربية في الصومال عبر العصور وعبر الأنظمة والحكومات المتعاقبة في إدارة البلاد وباختصار، وكما تتطرق الدراسة لأهم مجالات الحياة والأكثر استخداماً للغة العربية في الصومال. وتسلط

الدراسة الأضواء على أهم مؤسسات اللغة العربية في الصومال قديماً وحديثاً. وختاماً تسرد أهم العقبات والتحديات التي تواجهها العربية في الصومال.

هذا وقد عالج الباحث الموضوع في سبعة محاور وخلاصة، وتكون في طيات كل محور مواضيع فرعية لا يمكن تفصيلها في هذه المقدمة، ولكن سنفصلها في حينها إن شاءالله تعالى.

المحور الأول: الصومال أرضاً وشعباً ولغة

أولاً: الصومال أرضا

تقع جمهورية الصومال في شرقي إفريقيا فيما يعرف بالقرن الإفريقي، وهو أقصى امتداد لإفريقيا في الجنوب الشرقي، تمتد أراضي الصومال بين خطي عرض 12 شمالاً 139 جنوباً وبين خطي طول 14 و 15 شرقاً[1] .

وتطل جمهورية الصومال على المحيط الهندي، وتقع وسط الشاطئ، وتمتد سواحلها على المحيط بأكثر من 3600 كم2، تبدأ من باب المندب شمالاً ثم تمتد حتى رأس كامبوني جنوباً.

تحد الصومال شمالاً جمهورية جيبوتي، وجنوباً دولة كينيا، وشرقاً المحيط الهندي، وغرباً دولة أثيوبيا (الحبشة)، وتبلغ مساحة الصومال نحو (636541 كم2)[2]. على أن الصوماليين ينتشرون في مساحة لا تقل عن مليون كم2، فيما يطلق عليه الصوماليون الصومال الكبير، وتقع بعض أجزاء الصومال الكبير في غرب أثيوبيا وشمال شرق كينيا.

1- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الموسوعة العربية العالمية، ط2، الرياض 1419هـ - ص:22.

2 - حمدي الطاهري، قصة الصومال، ط1، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1977م ص:17.

عرفت الصومال بعدة أسماء سابقاً، وقد عرّفها الفراعنة قديماً باسم بلاد بونت، وحفظ التاريخ المصري القديم سيرة أهلها وأقاليمها ومنتجاتها. وعرفها الفينيقيون باسم إقليم البخور، وكما عرّفها اليونانيون والرومانيون وأطلقوا عليها باسم (بربارووري) في العصور القديمة،[1] وظلت الصومال معروفة بعدة قُرون باسم القرن الإفريقي نسبة إلى شكلها على خريطة العالم.[2]

أما كلمة صومال: فيقال إنها مركبة من كلمتين هما "سو" أي اذهب "مال" أي احلب فيكون معناها اذهب واحلب، بعد تحويل حرف السين إلى صاد. وقيل إنه أطلق عليها الأجانب الذين يرتادونها لكونهم يسمعونها كثيراً من الصوماليين الرعاة.

والتفسير الثاني: لكلمة الصومال ملخصها أن صومال هو الجد الأكبر للصوماليين، وكان يسكن وادي الصومال الواقع شمال صنعاء، ومنه انحدرت جميع القبائل التي كونت الأمة الصومالية.[3]

أما التفسير الثالث: فتفسير حديث يقال إن كلمة الصومال أصلاً كانت (سومل) وقلبت السين فيها صاداً فأصبحت صومال فهي كلمة أصيلة في لغة ماي

1 -حسين. عبد الرزاق، المسح اللغوي في الصومال،ط(بدون) الدوحة: الشركة الحديثة للطباعة، 1991م، ص:11

2 - الطاهري. حمدي، المرجع السابق، ص:17.

3 - محمد، عبدالمنعم، الصومال وطناً وشعباً، ط1، القاهرة: ص ص: 168– 171.

الصومالية، وتطلق على الإبل التي تضرب لونها الحمرة والصفرة فهي من أكثر الأبلال الصومالية نسبة وأحسنها بل وأدرّها لبناً.[1]

ومع كل هذا فلا يُعرف للآن متى أطلقت كلمة صومال على شعب هذه المنطقة ومن الذي أطلقها، إلا أنه نظراً لأن الشعب الصومالي شعب يمارس الرعي، ويعتمد في جل حياته على هذه الحرفة فإنه من الممكن اعتبار هذه التفسيرات هي الأقرب من الواقع.

يتميز سطح الصومال بأنه هضبي المظهر بصفة عامة مع وجود بعض السهول الساحلية وسهول نهري جوبا وشبيلي، ولا تُوجد منطقة جبلية بمعنى الكلمة إلا في الإقليم الشمالي حيث تمتد المرتفعات بصفة عامة من الشرق إلى الغرب بمحاذاة خليج عدن حتى رأس غردافوي.

وأهم ما يميز السطح الجنوبي للصومال وجود نهرين دائمين هما نهر جوبا ونهر شبيلي اللذان ينبعان من هضبة إثيوبيا في الغرب، ويصب نهر جوبا في المحيط الهندي بالقرب من مدينة كسمايو، بينما نهر شبيلي لا يصل إلى المحيط بسبب وجود كثبان رملية تحول دون وصوله، ولذا ينتهي في بعض المستنقعات بالقرب من مدينة جلب على بعد 300 كم من المحيط جنوب غربي مقديشو.

إن المعدل السنوي العام للأمطار يصل إلى 38سم ونادراً ما تزيد كمية الأمطار على50 سم في السنة، ويمكن تمييز أربعة فصول مناخية سنوياً بالصومال، اثنان منهما ممطران الربيع وهو فصل المطر مهم، ويستمر من شهر مارس إلى مايو وأحياناً إلى يونيو، وفصل الخريف أقل مطراً من الربيع، ويستمر من سبتيمبر إلى نهاية نوفمبر، وتقدر نسبة أمطاره بنحو 30% من كمية المطر السنوي.[2]

على العموم فمناخ الصومال شأنه شأن كثير من الدول العربية والفريد منه أن خط الاستواء قد يعبر إلى الجزء الجنوبي من الصومال، كذلك كان لموقعه أثر كبير

1 - بارو، فوزي محمد، أثر اللغة العربية على اللغة الصومالية والعلاقة بين اللغتين. دراسة وصفية تحليلية، بحث مقدم في المؤتمر الدّولي الخامس بموروني جمهورية جرز القمر، 2016م. ص: 4.
2 - الموسوعة العربية العالمية ، مرجع سابق ، ص:223

بحيث أصبح الوحيد بين الدول العربية الذي يقع تحت تأثير الرياح الموسمية ـ الصيفية باستثناء اليمن.[1]

ثانياً: الصومال شعباً

يقدر سُكان الصومال بحوالي (12,500,000نسمة) حسب تقرير عام 2015م،[2] ينتمي الشعب الصومال للجنس الحامي، وبالتحديد للعنصر الكوشي. والكوشيون هم إحدى الموجات الحامية، ويُعرف أيضاً بالحاميين الجنوبيين تمييزاً لهم عن الحاميين الشماليين، وكان الكوشيون يسكنون منطقة شرقي إفريقيا من حدود مصر شمالاً حتى القرن الإفريقي جنوبا [3].

ومهما يكن الأمر فإن الصوماليين يعتبر من السكان الأساسيين أو الأصليين لمنطقة القرن الإفريقي وكلهم بلا استثناء مسلمون، ويحمل الشعب الصومالي الملامح الحامية والعربية [4].

هذا ويشكل الصوماليون وحدة عرقية وثقافية وقومية على امتداد تشكيلاتهم في منطقة الصومال، وهناك خلاف كبير حول أصول الصوماليين وسلالتهم، ولكنه من المعروف أن معظم القبائل في الصومال تحرص على إرجاع نسبها إلى العرب وخاصة إلى قريش، وذلك من خلال شخصيات تاريخية مشهورة على طراز عقيل بن أبي طالب وأبي بكر الصديق وغيرهما.([5]) ولكن الباحث يرى أن الشعب الصومالي بتركيبته الحالية شعب مسلم عربي إفريقي.

ثالثاً: الصومال لغة

اللغة الصومالية هي اللغة القومية الرسمية في البلاد، وهي لغة تتكلم بها القومية الصومالية في جمهورية الصومال، وجمهورية جيبوتي ومقاطعة غرب الصومال التي تتمتع الآن بحكم ذاتي في إطار دولة أثيوبيا، ومقاطعة شمال شرق كينيا، التي

1 - محمد، عبد الغني سعودي، شخصية الصومال، المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية، ط (بدون) معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1982م، ص:12

2 - وهذا حسب الإحصائيات الجديدة من وزارة التخطيط الاجتماعي الصومالي، التقرير الوزاري، عام 2016م.

3 - محمد، عبد المنعم، الصومال وطناً وشعباً، ط(بدون)، ناشر (بدون)، ص:172.

4 -أجمد، حسن مكي محمد،السياسات الثقافية في الصومال الكبير، ط1، دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، الخرطوم 1410هـ -،ص:19.

5 - المرجع نفسه، ص: 38

كانت تُعرف بمنطقة الحدود الشمالية (NFD) ضمن جمهورية كينيا. إذ تنتشر القومية الصومالية على كتلة من الأراضي مترابطة الأقاليم بوحدة عرقية ولغوية وثقافية ودينية واحدة في ربوع منطقة القرن الإفريقي، تبلغ مساحتها ما يربو على المليون متر مربع.[1] وتنتمي اللغة الصومالية إلى مجموعة اللغات الكوشية التي تضُم بضعاً وثلاثين لغة ولهجة، وهي من ضمن مجموعة أسرة اللغات الآفروآسيوية.[2]

المحور الثاني: علاقة الصومال بالعالم العربي

لقد أنشأ الموقع الجغرافي للصومال صلة قديمة بينها وبين عرب شبه الجزيرة العربية، صلة ترجع إلى ما قبل ظهور الإسلام وذلك بسبب التجارة، ومن ثمّ توطدت هذه الصلة بعد ظهور الإسلام واعتناق سُكان الصومال له، وحرصهم على فهمه عن طريق تعلم لغته. لقد حظيت اللغة العربية باحترام كبير من جانب الصوماليين[3].

يرى بعض المؤرخين أن القبائل الصومالية نزحت من الجزيرة العربية على فترات متباعدة، منذ الألف الرابع والخامس قبل الميلاد.

وتُؤكد البحوث التاريخية الحديثة أن السبئيين- وهم عرب شبه الجزيرة العربية – قد استوطنوا في مناطق عديدة من الساحل الشرقي لإفريقيا، وأن السبئيين لم يكُونوا مُنعزلين، بل اختلطوا بأهل الساحل، وتزوجوا منهم، وأقاموا محطات تجارية بل اختلطوا في موطنهم الجديد.

ومن الطبيعي إذاً أنهم حملوا معهم لغتهم وعاداتهم وطبائعهم وفنونهم وخبراتهم التجارية، وبدأ الطابع العربي المتميز يظهر على طول الساحل منذ منتصف الألف

1- على، صالح محمد. أصول اللغة الصومالية في العربية، ط(دون)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1994م، ص: 175.

2- محمدين، محمد محمود أحمد، دراسات في الأدب الصومالي، د(ط) مطابع الأميرية، القاهرة 1973م/ 1393هـ، ص: 2.

3- عنير، تغريد السيد، دراسة صوتية لظاهرة الاقتراض من العربية، أعمال الندوة الدولية، مطبعة جامعة القاهرة، 1987م، ص:91.

سنة التي سبقت ميلاد المسيح عليه السلام، ويُعتبر الاستيطان العربي بمثابة عملية صوملة للجنوبيين من العرب، وتعريب لأبناء الشعب الصومالي[1].

ويذكر المؤرخون أيضاً أن صلات قوية كانت تربط الصومال بأشقائه العرب، وكان يرجع ذلك إلى ما قبل ظهور الإسلام في الجزيرة العربية بعدة قرون، عند ما كان الصومال جزءاً من إمبراطورية تجارية عربية كبيرة تضُم جُنوب شبه الجزيرة العربية وساحل خليج عدن، وكان الصومال يساهم في نشاط هذه الأمبراطورية بمنتجاته التي اشتهرت بها بلاده منذ الزمان وأهمها: اللبان والبخور والعاج[2].

المحور الثالث: دخول اللغة العربية وانتشارها في الصومال

إن الآراء متباينة حول وصول اللغة العربية إلى الصومال، إذ يرى بعض المؤرخين أنها وصلت إلى الصومال قبل الميلاد، نظرا لعلاقة الصومال بدولة معين التي عاصرت دولة بنط، وكان تاريخ المعينيين 2000-50 ق م. وكذلك علاقة بلاد بنط (الصومال قديما) لمملكات حتشبسوت في مصر حوالي 1500 ق م التي أرسلت حملة تجارية من سفن خمس إلى الصومال. إن هذه الروايات تدل ضمنا على وجود اللغة العربية، إذ أن وجود الصلات غير ممكن بدون وجود اللغة العربية. ومع ذلك فإن تاريخ اللغة العربية في هذه الفترة يكتنفه بعض الغُموض لعدم توفر شواهد تدل على وُجودها في الصومال بشكل واضح.[3] هذا ويؤرخ البعض أنها وصلت إلى منطقة الصومال قبل الإسلام، وأن العلاقة الوطيدة بين الصومال والجزيرة العربية لهي أوضح دليل على أن اللغة العربية كانت موجودة في الصومال قبل الإسلام بقُرون، وإلاّ كيف تقوم إمبراطورية تجارية بهذا الحجم بين العرب والصُومال بدون أن تعتمد على اللغة العربية كلغة تجارية رسمية ؟ نعم لأن التجّار هم أكثر الناس نشراً للغتهم في البيئة التي يعيشون فيها.

1-على، صالح محمد، أصول اللغة الصومالية في العربية، ط (بدون)،دار النهضة العربية،القاهرة 1994م،ص:1-2.

2 - يحيى، سيد أحمد، الصحوة الإسلامية في إفريقيا، ط2، الناشر والمكان (بدون)، 1417هـ ــ 1996م، ص:47.

3 - جمهورية الصومال، اللغة العربية في الصومال، وقائع الندوة العلمية مقديشو ط1، الرباط، 1986م، ص: 84.

وعند ما جاء الإسلام جعل من العرب والصوماليين سبيكة واحدة، كأنهم أغصان مورقة انبثقت من دوحة واحدة هي دوحة الجنس الواحد أو الانتماء الثقافي، ودوحة الدين الواحد، وهو الإسلام[1].

ولا شك أن اللغة العربية بالنسبة للمسلمين هي لغة العقيدة، ولغة الفكر والحضارة والتاريخ، ولغة الرسالة التي يحملونها في الحياة، وفوق كل ذلك هي لغة كتابهم المقدس الذي يتلونه صباح مساء، وهي بالنسبة إليهم ليست لغة قبيلة مُعينة أو شعب معين، ولكنها لغة الأمة والإسلام، مهما اختلفت لُغاتهم وألوانهم وأوطانهم وأزمانهم. وعلى هذا لم تعتمد الدعوة إلى الإسلام في إفريقيا على اللغات المحلية، بل كانت اللغة العربية دائماً؛ لأنها هي الوسيلة الوحيدة لتلاوة القرآن وتفسيره وفهمه، وللسنة المطهرة، وهي لغة العلماء في المجالس الدينية وحلقات العلم والذكر، وهي لغة الأوراد والصلوات وغيرها من المعاملات الدينية[2].

ومن هنا يأتي اهتمام الصوماليين باللغة العربية كوازع ديني يشترك فيه الجميع من علماء وعامة ورجال ونساء وكبار وصغار، في بيئة كلها تحترم لغة القرآن، وبما أن بعض الناس لا يفرقون بين ما هو قرآن أو حديث وما هو لغة عربية بحتة، فإنهم يحترمون كُل ما هو عربي، وتراهم يجمعون قطع الصحف العربية من المحلات التي لا تليق باللغة العربية، ويقومون إما بحرقها أو بوضعها في محل مناسب، وذلك مخافة أن تكون فيها آية من كتاب الله تعالى أو اسم من أسمائه وهكذا.

وعلى هذا الأساس تمكنت اللغة العربية من الانتشار في القُطر الصومالي، وأصبحت لغة التعليم ولغة الدولة الرسمية، تسيّر بها الأعمال الإدارية والمحاكم، والمعاملات التجارية، وأجادها السكان، كما يشهد بذلك مؤرخو العصور الوسطى الذين شهدوا أن سكان بلاد الصومال كانوا يتكلمون باللغة المحلية إلى جانب اللغة العربية، وهكذا احتفظت اللغة العربية بهذا المركز حتى تعرضت البلاد لغزو استعماري، وكانت اللغة العربية اللغة الأصلية في البلاد، وترجع إلى عصر قديم لا يعلم وقته[3].

1 - صالح، محمد على، مرجع سابق، ص: 2.
2 - أبوبكر ، يوسف الخليفة، اللغة العربية في أفريقيا، اللغات في أفريقيا، ط1، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، 2006م ص ص:14،13
3 - عيسي، جامع عمر ، تاريخ الصومال في العصور الوسطى والحديثة، بدون (ط)، مطبعة الإمام، القاهرة، 1385هـ – 1965م ، ص:7.

ويقول علي الشيخ أحمد في هذا الصدد: "إن اللغة العربية أصبحت لغة صومالية؛ لأن الصومال لم تعرف طول تاريخها سوى اللغة العربية التي جاءت مع الإسلام، وهي منتشرة في أرجاء العالم منذ فترة طويلة في البدو والحضر، وبغض النظر عن وجود مجموعات من الشعب الصومالي لا يحسنون التكلم باللغة العربية، إلاّ أن ذلك لا ينفي كونها لغة رسمية للصومال، إن القرن الأفريقي الذي تسكنه القبائل الصومالية مرتبط بالأمة العربية بروابط دينية ولغوية وعرقية، وكانت اللغة العربية هي التي تستعمل في المعاملات المالية والاجتماعية ولم يطرأ أي تغيير في هذا الاتجاه حتى جاء الاستعمار الأوروبي الحديث فبذل مجهودات جبارة في تغيير الاتجاه"[1].

إذا كانت صلات الصومال بالعروبة والإسلام قديمة ونامية، ففي القديم نزح إليه كثير من العرب الحضرميين واليمنيين، وأقاموا فيه، وامتزجوا بأهله، ونشروا الإسلام واللغة العربية بينهم[2].

ارتبط وضع اللغة العربية في الصومال بعلاقة الصومال بالعالم العربي ومنذ عام 130م شهدت السواحل الصومالية هجرات عربية متتالية أدت إلى تأسيس بعض المدن في الساحل الصومالي، وقد نتج عن هذه الهجرات احتكاك أهل الصومال بهؤلاء المهاجرين العرب.

إن الترابط الوثيق بين الشعب الصومالي والأمة العربية الذي شمل جميع نواحي الحياة لم يترك مجالاً لأن تكون اللغة العربية في الصومال غريبة أو مفقودة بحال من الأحوال. ففي القديم توالت الهجرات العربية إلى المنطقة منذ انهيار سد مأرب كعامل تدعيم اللغة العربية، وعند مجيئ الإسلام وضح الدور الذي لعبه في انتشار اللغة العربية، وتقوية وُجودها وإحداث ضرورة تعلم أي فرد شيئاً منها على الأقل بالقدر الذي يستطيع به تأدية واجباته الدينية، وذلك من خلال علومه الشرعية ومصادره المعتمدة على اللغة العربية وشعائرها التي يتم تأديتها أيضاً بالعربية، من الصلاة والآذان والدعاء وكذلك الأذكار.

1 - أحمد، على أبوبكر، الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي، ط1، دار الأمية للنشر الرياض، 1405هـ، ص:72.

2- محمد، زهير محمد ، في ربوع الصومال ، ط(بدون) ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، 1964م ، ص: 10

إن المتتبع لتاريخ الشعب الصومالي يجد أن اللغة العربية تضرب في أعماق تاريخه، وأن الثقافة العربية والتراث الإسلامي قد تزامنا في أرض الصومال، فالعربية قد استخدمها الشعب الصومالي في الماضي وسيلة للمراسلة والمعاملات التجارية وتوثيق العقود، وتأكيد المواثيق وغير ذلك من المعاملات الدينية والدنيوية، وأنها كانت وسيلة لنشر العلوم الدينية بين أفراد المجتمع الصومالي، وهذا الأثر لا يزال محفوظاً وباقياً في المخطوطات الأثرية القديمة[1].

إن الشعب الصومالي قد احتفظ باللغة العربية منذ القدم، وإن كل القرون لم تشهد أي تغيير، فالوثائق القديمة بين أمراء الصومال وبين إخوانهم في العالم الإسلامي والمخطوطات العديدة التي ألّفت في مختلف الفنون والتي شملت اللغة العربية وآدابها والفقة، وغير ذلك لهو دليل قاطع على ذلك، وعند ما جاء الاستعمار الصليبي اعتدى على الشعب الصومالي، كما اعتدى على غيره من الشُعوب الإسلامية، فإن جميع الرسائل التي تُبودَلتْ بين زعماء الصومال في جميع المناطق وبين المستعمرين كانت مكتوبة باللغة العربية.

هذا وقد تعمقت اللغة العربية في نفوس الشعب ولم تكن المعاهد والمدارس من المدن تحتضن وحدها، وإنما البدو الرحل هم حفظة القرآن الكريم حيث يستظهر الطفل القرآن الكريم وعمره تسع سنوات أو عشر سنوات تقريباً ، كما أن هؤلاء البدو يتغنون بالأشعار العربية ويحفظون المتون من مضارب الإبل ومراعي البقر والغنم حتى نبغ منهم علماء فطاحلة في البادية والحضر على حد سواء[2]

المحور الرابع: المراحل التي مرت بها اللغة العربية في الصومال

أولاً: مرحلة ما قبل الاستعمار

إن اللغة العربية أصبحت منذ ما قبل الاستعمار لغة رسمية يستعملها الشعب في حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والروحية، ولتأكيد ذلك نورد بإيجاز المجالات التي كانت تستعمل فيها اللغة العربية قبل دخول الاستعمار إلى الصومال:

1 - محمود، إسماعيل عبد الرحمن، " اللغة العربية كأداة للإعلام والتوعية في النضال الصومالي"، ندوة اللغة العربية في الصومال 1968م، الوثيقة الثالثة، ص:81.

2 - أحمد، على الشيخ، الصومال وجذور المأساة الراهنة، دار بن حزن، بيروت 1992م ص: 44، 45.

التعليم: كانت اللغة العربية لغة التعليم التي صاحب انتشارها الإسلام، وكانت الكتاتيب أولى مراحل هذا التعليم حيث كان الطفل يتعلم فيها حروف الهجاء العربية ثم يتدرج في حفظ القُرآن الكريم إلى أن يصير مهيئاً للالتحاق بحلقات دراسة العلوم العربية والشريعة الإسلامية في المساجد، وكان العلماء الصوماليون الذين يريدون مزيداً من المعرفة يرحلون إلى الأقطار العربية وخاصة إلى مصر والسعودية واليمن.

الشؤون القضائية: كانت الشريعة الإسلامية أساس التشريع في البلاد، وكان للغة العربية دور كبير في هذا المجال حيث كانت كل الوثائق تحرر باللغة العربية.

التجارة: كانت اللغة العربية تُستخدم في الميدان التجاري والاقتصادي، وكانت لغة كتابة الاتصالات، والمعاملات التجارية وكل أنواع المراسلات، كما كانت لغة تدوين العقود، وتحرير السجل التجاري وتصنيف البضائع.

التأليف: ألّف كثير من علماء الدين الإسلامي كتباً دينية، وظهر شعراء صوماليون برعوا في نظم القصائد والمدائح في المجالات الدينية والروحية والسياسية باللغة العربية.[1]

النشاط البحري: كانت اللغة العربية هي المستعملة في العلوم البحرية وتقديم النصح والإرشاد حول الملاحة للسفن، خاصة في مجال التغيرات الجوية والعواصف البحرية وتحديد الاتجاه.

الطب الشعبي: كانت اللغة العربية تستخدم في مجال الطب الشعبي، وكان الأطباء يستعملون الأسماء العربية في الأمراض وفي الأدوية معتمدين في ذلك على كتب الطب الإسلامي.

الاتصالات الداخلية والخارجية: كانت الخطابات المتبادلة تكتب باللغة العربية، وكان السلاطين والزعماء الصوماليون يستعملون اللغة العربية في رسائلهم التي كانوا يبعثون بها إلى سلاطين الأقطار العربية.

1- اللغة العربية في الصومال، وقائع الندوة العلمية، الرباط 1986م، ص: 25.

ثانياً: فترة الاستعمار

ولا شك أن وضع اللغة العربية ووجودها قد تراجع في عهد الاستعمار، ومع ذلك كانت الصُحف التي يستخدمها الشعب في نضاله ضد الاستعمار تصدر باللغة العربية، وكان لها جمهور من قرّاء اللغة العربية، فكل هيئات تحريرها كانت من خيرة المثقفين الصوماليين الذين تلقّوا تعليمهم باللغة العربية، ومن هذه الصحف: الصراحة، واللواء، والطليعة، والنهضة،الحقيقية، والوحدة،والاتحاد، وقرن إفريقيا[1].

هذا وقد قاوم الشعب الصومالي مُحاولات الاستعمار في النيل من اللغة العربية بكتابة اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية، وخير مثال لذلك تلك الوثيقة التي تقدم بها علماء وأعيان الصومال إلى الأمم المتحدة عن طريق إدارة الوصايا والمجلس الاستشاري، في شهر نوفمبر عام 1950م،[2] وها هي فقرات من الوثيقة: (نحن علماء الصومال ورؤساء قبائلها وشُيوخها وأعيانها ورؤساء الأحزاب السياسية بها، نرفع إلى السلطة العامة القائمة بإدارة هذه البلاد، وهي إيطاليا ما أجمعنا على إقراره نهائياً بخصوص اللغة الرسمية في البلاد، إننا نختار اللغة العربية لغة شعبية رسمية لهذه البلاد للأسباب الآتية:

أ- إن اللغة العربية لغة الدين ولغة القرآن الكريم.
ب-إن اللغة العربية لغة المحاكم الشرعية في جميع نواحي القطر وما زالت حتى اليوم.
ت-إن اللغة العربية لغة الدين ولغة يتكلم بها أغلبية السكان.
ث-إن اللغة العربية قد اختارها الشعب بالإجماع لتكون لغة البلاد الشعبية والرسمية، ومن حاد عن هذا أجمعنا على أنه أراد أن يعمل ضد النظام الإسلامي في البلاد الصومالية).[3]

توضح لنا هذه الوثيقة أن مكانة اللغة العربية كانت عظيمة في نفوس هذا الشعب.

1- وزارة التربية والتعليم، حول السياسة العامة للتعريب في الصومال، مقديشو، ص: 26.
2 - وزارة التربية والتعليم، مرجع سابق، ص:27.
3- محمد. حسن مكي، مرجع سابق، ص: 168

ثالثاً: اللغة العربية في فترة الاستقلال

أما في عصر الحكومات الصومالية المتعاقبة منذ 1960- 1989م فقد ضعف دور اللغة العربية في الصومال نظراً لوجود فرص مواتية لأصحاب الثقافة اللاتينية سواء في مجال العمل أو في مجال المنح الدراسية والدورات التدريبية والندوات والمؤتمرات الدولية، الأمر الذي صرف أنظار الجيل الصاعد إلى تعلم لغات غير اللغة العربية.[1]

في عام 1972م وفي الذكرى الثالثة للثورة أصدر رئيس المجلس الأعلى للثورة المرحوم محمد سياد برى قراراً بموجبه كتابة اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية، وبهذا القرار بدأ للغة العربية فصل جديد، طالما تمنّى أعداء الأمة الإسلامية تحقيقه، ومع تدبير الخطط في تنشيط هذه البرامج وتمويلها من قبل الاستعمار.

هذا وقد استعادت اللغة العربية شيئاً من عافيتها في عام 1974م، عند ما انضمت الصومال إلى جامعة الدول العربية، وقد شهدت اللغة العربية انتعاشاً، حيث تمّ تبني سياسة تعليمية هادفة، نالت اللغة العربية بموجبها ما كانت تستحق من الاهتمام، وكان انضمام الصومال إلى جامعة الدول العربية انتصاراً للغة العربية، فأصبحت الصومال ملزمة بنشر اللغة العربية بموجب ميثاق وحدة الثقافة العربية، وبذلك أُعْلنت حملةُ تقوية اللغة العربية لتأخذ هذه اللغة مكانها الصحيح من حياة الشعب الصومالي، ولهذا تمّ وضع إستراتيجية تقوية اللغة العربية ونشرها في الصومال[2].

إلا أن تلك الحملة في نظر الباحث لم تجد الاهتمام المطلوب من قبل الحكومة مقارنة بالمجهودات الجبارة التي بذلتها الحكومة في أثناء حملتها لكتابة اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية هذا من جانب، بالإضافة إلى عدم وجود خطة مُستقبلية بعيدة المدى، وعدم الإعداد الجيد لحيثيات المشروع من حيث المنهج، أضف إلى ذلك أن الشعب كان يعيش في فترة غير مستقرة، حيث كتبت اللغة الصومالية بالحرف اللاتيني قبل انضمام الصومال إلى جامعة الدول العربية بسنتين، وتصوملت المناهج وغيرها في المجالات العامة، وعلى أي حال فإن الحملة في نظري لم تترك أثراً واضحاً ولم تحقق نتائج أكثر إيجابية تذكر.

1- الصومال وجذور المأساة الراهنة، مرجع سابق، ص:54.

2 - مؤسسة الإمام الشافعي، وضع اللغة العربية في الصومال، تقرير دوري، بدون تاريخ، ص:3.

رابعاً: اللغة العربية ما بعد انهيار الحكم المركزي في الصومال

وبعد انهيار وسقوط نظام الحكم في الصومال في نهاية عام 1990م لقيت اللغة العربية مجالاً مفتوحاً لا منافس فيه لتعيد حيويتها ونشاطها وتثبت صلتها بالمجتمع. وقد شهد الصومال طابعاً جديداً يضمن لأبناء شعبه الارتواء من مناهل العلم الذي يتناسب مع عقيدته ومنهج حياته، وذلك بفتح أبواب مدارس نظامية تدرس فيها اللغة العربية في جميع المواد، وفي جميع المستويات: الابتدائي وكذلك الإعدادي والثانوي والجامعي.

وكل ذلك كان بجهود سخية قامت بها مجموعة من أبناء البلد المخلصين، وبدعم من منظمات إسلامية وعربية خيرية.

بهذا أصبحت اللغة العربية وسيلة لتربية وتثقيف أبناء هذا البلد، ووجدت إقبالاً شديداً من قبل أولياء أمور الطلبة، في حين فشلت سائر المحاولات الرامية إلى إيجاد لغة غير اللغة العربية كوسيلة بديلة لتربية الجيل الصاعد في الصومال، وإلى جانب المدارس النظامية انتشرت المعاهد ومدارس اللغات في أنحاء الصومال لتتصدر اللغة العربية المواد الدراسية لتلك المعاهد، الأمر الذي أدى إلى تعلم اللغة العربية بصورة كبيرة[1].

وفي هذه الفترة أصبح التعليم كله يتمّ باللغة العربية عفوياً وبجهد شعبي غير منظم، وانتشرت المعاهد والمدارس الأهلية المخصصة لتعليم اللغة العربية التي سبق الحديث عنها على يد بعض الشباب الصوماليين العاشقين للغة القرآن والإسلام.

وفي عام 1999م تم تأسيس رابطة التعليم النظام الأهلي في الصومال بهدف توحيد تلك الجهود وتنسيقها لإيجاد نظام تعليمي موحد، وامتحانات مركزية وشهادات معترفة بها، والمهم في المسألة أن الرابطة اتخذت من اللغة العربية لغتها الرسمية، ويتم التدريس في المدارس التي تنضوي تحتها باللغة العربية لجميع المواد الدراسية، إضافة إلى أن مواد اللغة العربية تُعد أساسية في مختلف المراحل والصفوف حسب منهج هذه المدارس[2].

1 - اللغة العربية في الصومال، مرجع سابق، ص: 29.

2 - وزارة التربية والتعليم، حول السياسة العامة للتعريب في الصومال مصدر سابق ، وثيقة ، مقديشو، 1980، ص: 25.

والجدير بالذكر أن هناك عوامل كثيرة ساعدت اللغة العربية على أن تستعيد مكانتها في الصومال منها:

أ- إلغاء القيود المفروضة على انتشار اللغة العربية بعد تدهور أنظمة الحكم المحاربة للغة العربية من حيث لا تدري، إن صح التعبير (رب ضارة نافعة).

ب- توافر فرص عمل تستوعب أعداداً كبيرة من ذوي الثقافة العربية بسبب انتشار المدارس والجامعات النظامية، وفتح جمعيات خيرية ومؤسسات أهلية تستخدم اللغة العربية بصفة رسمية.

ت- ارتفاع نسبة الحصول على المنح الدراسية لخريجي المدارس العربية الأهلية، ويرجع الفضل في ذلك بعد الله سبحانه وتعالى إلى جمهورية السودان التي فتحت أبواب جامعاتها ومعاهدها لاستقبال عدد كبير من أبناء الصومال في الآونة الأخيرة، وكما يرجع الفضل إلى جمهورية اليمن وكذلك جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية وقطر وغيرها من الدول العربية.[1]

وكل هذا أو ذاك فإن الصومال كانت ولا تزال جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي، حضارياً وسياسياً وثقافياً وإستراتيجياً، فالعروبة ليست لون بشرة ، وإنما هي انتماء وشعور قومي، وارتباط عاطفي ومصالح مشتركة[2].

خامساً: أما الفترة ما بين 2000–2008م فيمكن القول بأن اللغة العربية في عصرها الذهبي في الصومال، ورغم وجود معوقات مادية وقلة الكوادر المدربة إلا أنها أصبحت لغة التعليم من الروضة أو الحضانة وحتى الجامعة.[3]

والجدير بالذكر أيضاً أنه كان يوجد في الصومال في ذاك الوقت حوالي (300) ثلاثمائة مدرسة في مختلف الأقاليم الصومالية، ويدرس فيها ما بين 50 و60 ألف طالب وطالبة في مختلف المراحل الدراسية كلها باللغة العربية، وكذلك في

1 - محمد. حسن مكي، مرجع سابق، ص: 179.

2- ديرية. ورسمة أبكر، تاريخ اللغة العربية في الصومال، الوثيقة العاشرة لحملة تقوية اللغة العربية في الصومال، 1980، ص: 85.

3 - تاريخ اللغة العربية في الصومال، مرجع سابق، ص: 87.

الصومال حوالى سبع جامعات عربية، وهذا كله مما كان يُبشر مستقبل اللغة العربية في الصومال.[1]

أما ما بعد عام 2009م إلى الآن فقد واجهت اللغة العربية عدة عوامل تهدد وجودها وريادتها، ومن أهم تلك العوامل:

أ- ظهور روابط تعليمية أهلية تشرف على المدارس الخاصة، تميل وتشجع على استخدام اللغة الإنجليزية، كلغة التعليم في مدارسها من الأساس إلى الثانوية، وأصبحت اللغة العربية فيها مادة واحدة، بدلا من أن كانت لغة الدراسة في جميع المواد عدا الإنجليزية.

ب- إزدواجية المناهج في المراحل الدراسية، أي لغة التعليم والتدريس فيها، حيث خصصت اللغة العربية بالمرحلة الأساسية، بينما اللغة الإنجليزية أصبحت لغة التدريس في المرحلة الثانوية في معظم مدارس البلاد. مما أدى إلى خلل في مستوى تحصيل الطلاب الأكاديمي بسبب الفجوة والتنقلات اللغوية من فترة لأخرى، وقد طَوّقت هذه الإزدواجية الخناق على اللغة العربية، بل وأدت إلى تدني وتذبذب مستوى الطلاب وإلمامهم باللغة العربية.

ت- كثرة الخريجين الذين درسوا اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وحتى في التخصصات الأخرى التي درسوها باللغة العربية في جامعات عربية وإسلامية خارج وداخل البلاد، واجهتهم مشاكل في التوظيف المناسب، بل بعضهم ظلوا عاطلين عن العمل في الآونة الأخيرة.

ث- طبيعة سوق العمل لها دور كبير في تراجع إقبال تخصص اللغة العربية، وعدم اهتمام التخصصات الأخرى التي تدرس باللغة العربية، وعليه فإن بعض أقسام اللغة العربية في الجامعات باتت عديمة الطلاب حتى ولو كانت مجاناً، أو تنخرط فيها قلة قليلة، لذلك فإن أكثر الجامعات الأهلية في البلاد تميل إلى فتح كليات نوعية وذات إقبال كبير من الطلاب، مثل : كلية الطب، والهندسة، والبيطرة، والزراعة، والعلوم الصحية، والاقتصاد، والإدارة، وعلوم الحاسوب، وغيرها.

1 - معلم. محمد حسين، الثقافة العربية وروادها في الصومال، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 2011م، ص: 59.

ج- قلة دعم وإسهام المنظمات الإسلامية والعربية في مشاريع تقوية اللغة العربية، والتعريب بشكل عام في الصومال.

المحور الخامس: عوامل مساعدة لانتشار اللغة العربية في الصومال

العوامل التي ساعد على انتشار اللغة العربية في ربوع الصومال كثيرة ومتعددة إلا أن مجال هذه الدراسة لا يسع لذكر وسرد جميع تلك العوامل، لذا نحاول تناول أهم منها:

1- الموقع الجغرافي المتاخم للجزيرة العربية، ومنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة، مهّد الطريق لمزيد من التعاون بين الشعبين في مجال التجارة وتبادل السلع والمنتجات، الأمر الذي ساهم كثيراً في انتشار اللغة العربية، وتعزيز مكانتها في الصومال.[1]

2- انتشار الإسلام في الصومال، واعتناق الشعب الصومالي له، لعب دوراً بارزاً في رفع مكانة اللغة العربية في أوساط الصوماليين، مما أدى ذلك إلى جعل اللغة العربية لغة رسمية في الصومال ما دامت اللغة الصومالية لم تكن مدونة آنذاك.[2]

3- موقف زعماء وعلماء الصومال تجاه اللغة العربية: لقد كان أهل الصومال معنيين باللغة العربية أكثر من غيرهم، باعتبار العروبة ووجهته الإسلامية، من هذا المنطلق رفع زعماء وعلماء الشعب إلى الأمم المتحدة عبر إدارة الوصايا، في شهر نوفمبر عام 1950م ومحتوى الوثيقة هو: (نحن علماء الصومال ورؤساء قبائلها وشيوخها وأعيانها ورؤساء الأحزاب السياسية بها، نرفع إلى السلطة العامة القائمة بإدارة هذه البلاد وهي إيطاليا ما أجمعنا على إقراره نهائياً بخصوص اللغة الرسمية في البلاد، إننا نختار اللغة العربية لغة شعبية رسمية لهذه البلاد للأسباب كثيرة منها: إنها لغة الإسلام والمسلمين، وأنها لغة المحاكم الشرعية في البلاد، وهي اللغة التي يتكلم بها أغلبية الشعب ولهذا اختارها الشعب.[3]

1- أحمد. علي الشيخ أبوبكر، الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الإفريقي، الرياض، دار أمية للنشر، ص193.

2 - ديرية ورسمة أبكر، مرجع سابق، ص85.

3 - محمد. عبد الرحيم علي، ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا، الخرطوم، مركز البحوث والترجمة، 1988م، مرجع سابق ص: 241.

4- انضمام الصومال لجامعة الدول العربية: بدأت الخطوات الإيجابية في سبيل التعريب منذ أن انضمت الصومال إلى جامعة الدول العربية في 14 فبراير 1974م، وبذلك تفتحت الأبواب أمام اللغة العربية، والثقافة العربية إلى حد ما، في أرض هي بكل الاعتبارات الواقعية والرسمية وطن لها.[1]

وبانضمامها لجامعة الدول العربية، وضعت الحكومة الصومالية نصب أعينها قضية تعلم اللغة العربية والتوسع في برامجها ومناهجها، وأصبح إحياء اللغة العربية هدفاً رئيسياً في مقدمة الأهداف الوطنية، ومن هنا جاء قرار التعريب الشامل الذي ينطوي على جعل اللغة العربية لغة التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات. [2]

وبانضمام الصومال إلى جامعة الدول العربية أصبحت البلاد ملتزمة نشر اللغة العربية وثقافتها، واتخاذ العربية لغة رسمية، والسعي إلى جعلها أداة للتخاطب بين أفراد الشعب، ووسيلة لأداء أعمال الدولة اليومية.[3] ولم يكن للغة العربية وضع دستوري أو قانوني قبل التحاق الصومال بجامعة الدول العربية.[4]

5- إقرار واعتماد اللغة العربية في الدستور: نصت المادة الثانية في الدستور الصومالي أن اللغة العربية لغة الشعب الصومالي التي تربطه بالأمة العربية.[5] وقد ساعد وشجع هذا القرار المجتمع الصومالي على إعطاء اهتمام خاص للغة العربية في جميع مجالات الحياة. ونص قانون التعليم العام الذي صدر في عام 1977م بأن اللغة العربية مادة أساسية في كل المراحل التعليمية والنجاح فيها شرط للانتقال من مرحلة تعليمية إلى أخرى.[6]

1 - الدعوة الإسلامية المعاصر في القرن الإفريقي، مرجع سابق، ص: 182.
2 - عبد الرحيم مرجع سابق، ص: 242.
3 - حسن مكي، مرجع سابق، ص: 188.
4 - معلم. عبد الناصر محمد ، الأخطاء التداخلية في التعبير الكتابي لدى الطلاب الصوماليين، رسالة ماجستير غير منشورة، الخرطوم، 2003، ص: 40.
5 - ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا، مرجع سابق، ص: 244.
6 - بارو. فوزي محمد، أيام قضيتها في مقديشو، حصاد الأسبوع، مركز مقديشو للبحوث والداسات، 1015 ص: 10.

6- الهجرات العربية إلى الساحل الصومالي: تُعتبر الهجرات من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في الصومال، حيث واصلت الأفواج المهاجرة المتتابعة رحلاتها إلى الساحل الصومالي، خاصة في العصر الإسلامي لأسباب متعددة: منها التجارة والهروب من بطش الأعداء، أو نشر الدين الإسلامي، وبهذا الخط انتشرت اللغة العربية في الصومال أكثر مع العقيدة الإسلامية جنبا إلى جنب، وأخذت تتقوي يوماً بعد يوم حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم.[1]

7- طبيعة المجتمع الصومالي: إن المجتمع الصومالي كان مجتمعا مسلما 100% وما زال، يرى اللغة العربية بإنها لغة الإسلام والمسلمين، ولا تصح الصلاة وغيرها من العبادات بدون اللغة العربية، وأنهم قد استخدموها في مجالات حياتهم المختلفة قبل كتابة اللغة الصومالية، بل وكتبت اللغة الصومالية أيضا بالحرف العربي قديماً، وبهذا رحبوا بالمهاجرين واللغة العربية والدين الإسلامي الذي كان يوافق فطرتهم السليمة.[2] من هنا جاء اهتمام الصوماليين باللغة العربية كوازع ديني يشترك فيه الجميع.

المحور السادس: مؤسسات اللغة العربية في الصومال

هناك مؤسسات كثيرة للغة العربية في الصومال، إلا أننا نحاول سرد أهم هذه المؤسسات، وهي كالتالي:

- **مدارس تحفيظ القرآن- الكتاتيب (دكسي):**

تُعد المدرسة القرآنية أولى مؤسسة تعليمية في الصومال، وهي منتشرة في المدن والقرى والأرياف، ويبدأ المعلم تعليم الأولاد بتلقينهم حروف الهجاء العربية، ثم الكتابة والقراءة، تُعتبر الكتاتيب اللبنة والمحطة الأولى لتعلم أساسيات اللغة العربية، وموطن انتشار اللغة العربية. وسائل التعليم فيها ألواح وأقلام من الأشجار تستخدم بالحبر الصناعي، وأخيرا أدخل فيها الدفاتر والمصاحف والسبورات، ثم ينتقلون منها إلى كتابة بعض الجمل العربية، وبعض الأدعية.[3] وبعد ذلك يبدأ الطفل حفظ القرآن الكريم، ولكن تعلم الكتابة العربية لهم قبل أي شيء آخر.

1 - بارو. فوزي محمد ، تقرير عن وضع اللغة العربية في الصومال، مجلة لسان العرب، الخرطوم، 200م، ص:7.

2 - محمد. على عبد الكريم وآخرون، تاريخ التعليم في الصومال، مقديشو، 1978، ص: 10-12.

3 - الثقافة العربية وروادها في الصومال، مرجع سابق، ص: 256.

- **المساجد:**

تُعتبر المساجد من أقدم المؤسسات لنشر اللغة العربية والدين الإسلامي، وُجدت المساجدُ في الصومال قبل أن تُعرف المدارسُ، وعلى هذا فالمساجد كانت مكانا للتعليم، تعليم علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة وأدب، وتعليم العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وتوحيد، ولا تزال حتى الآن المساجد تضم بين جنباتها طلاباً نذروا أنفسهم لتعلم العلم، وأكثر المثقفين في الصومال قد درسوا في هذه المساجد.[1] ولم تكن مهمة المساجد قاصرة على غرض أداء الصلوات أو العبادات عموماً، بل هي مراكز رئيسة لتعليم وتعلم اللغة العربية بصورة مستمرة ودائمة، وعليه تقوم المساجد في الصومال بدور المدارس والجامعات حتى الآن.[2]

- **المدارس والمعاهد الإسلامية:**

يرجع فضل إنشاء هذه المدارس والمعاهد في الصومال، إلى جمهورية مصر العربية عبر بعثاتها التعليمية، البعثة التعليمية المصرية والبعثة الأزهرية، وقد حطت بعثة الأزهر الشريف رحالها في الصومال منذ عام 1952م، وقامت بفتح مدارس ومعاهد إسلامية عربية، وكان لهذه المدارس دور مشهود في تعليم وتعلم اللغة العربية، وينطلق أساتذة البعثات الذين بلغ عددهم 209 من المدرسين والوعاظ في أنحاء الصومال لنشر الثقافة الإسلامية والعربية، ويعملون في فصول التعريب،[3] إضافة إلى تدريسهم في المدارس والمعاهد، ويُعتبر خريجوا هذه المدارس والمعاهد من أفضل الطلاب إجادة ومعرفة للغة العربية في الصومال، لأنهم درسوا جميع المواد فيها باللغة العربية.

وقد زادت البعثات وجودها واهتمامها لنشر اللغة العربية، بعد انضمام الصومال لجامعة الدول العربية، وتدشين الحكومة الصومالية حملة تقوية اللغة العربية في ربوع البلاد.[4]

---

1 - مؤسسة الإمام الشافعي، مرجع سابق، ص: 2.

2 - وزارة التربية والتعليم، مرجع سابق، ص: 28.

3- رابطة تعليم النظامي الأهلي في الصومال، مرجع سابق ص:4،7.، الألفاظ العربية المقترضة في اللغة الصومالية، رسالة دكتوراه غير منشورة، الخرطوم، 2009م، ص: 41.

4 - بارو. فوزي محمد ، الكلمات العربية في اللغة الصومالية، بحث منشور، تاريخ 2009م، ص: 33.

وكان لمدارس ومعاهد الصومال دور مُلموس في نشر اللغة العربية، بالذات بعد انهيار الحكم المركزي عام 1991م، حيث أصبحت لغة التعليم فيها اللغة العربية في جميع المواد حتى عام 2009م.[1]

- **الجامعات والمعاهد العليا:**

تُعتبر الجامعات من أهم المؤسسات التي لعبت دورا في نشر اللغة العربية في الصومال، قديما كانت لصوماليا جامعة واحدة، تدعمها الحكومة الإيطالية مادياً وفنياً، وتضم فيها كليات معربة كلياً أو جزئياً، ومن الكليات المعربة تعريباً كلياً: كلية الدراسات الأسلامية واللغة العربية، وكلية الصحافة، فعلا قد أخرجتا نخبة من الطلاب المتميزين والممتازين في مجال اللغة العربية والدراسات الإسلامية،[2] ولعبوا دورا رياديا في نشر اللغة العربية، وانخرط أغلبهم في سلك التعليم والتدريس في المدارس والمعاهد والجامعات.

بعد انهيار الحكومة المركزية في الصومال، وفي نهاية التسعينيات أنشأت جامعات أهلية عربية في ربوع البلاد، كلها أخرجت أجيالاً درسوها باللغة العربية، وأقدم جامعة أهلية عربية كانت جامعة مقديشو في العاصمة، ومن أقدم الجامعات أيضا جامعة عمود في شمال الصومال، وجامعة شرق إفريفيا بشرق البلاد،[3] وبعدها نشأت جامعات أهلية كثيرة، ويقدر عدد الجامعات في الصومال، حوالي 80 جامعة أغلبها لها كليات أو أقسام للغة العربية.[4]

- **المراكز الإسلامية:**

ازدهرت في الصومال مراكز إسلامية شعبية في عدة مدن منها: مدينة هرر ومقديشو وزيلع وبربرا ومركة وجلوين وبراوة وورشيخ وبارطيري.[5] أصبحت هذه المدن محطات يقف عندها الدارسون لعلوم اللغة العربية المختلفة، والفقه وأصوله، والشريعة الإسلامية عامة، وكان يفد إليها الطلاب من داخل وخارج

1 - مجدي. نصيف، ثورة الصومال، ط1، مكتبة مدبولي، مكان (بدون)، 1974م ، ص:5.
2- الألفاظ العربية المقترضة في اللغة الصومالية، مرجع سابق، ص: 42.
3 - مقابلة مع الأستاذ شريف محمد عبد الله، رئيس رابطة التعليم الأهلي في الصومال الأسبق، الخرطوم، 2002م.
4 - المرجع السابق، ص: 53.
5 - هذه أسماء مدن صومالية، كانت نبراساً للعلم والمعرفة، تتوزع على غرب وجنوب، وشمال، وجنوب غربي البلاد.

منطقة القرن الإفريقي، وقد امتازت منطقة هرر بإتقان علوم الشريعة واللغة العربية.[1] بينما صارت مدينتا مقديشو وزيلع أهم مركزين منفذين لتياري العروبة والإسلام في اختراق الصومال، وتسربهما عبر مناطق القبائل من الشرق والجنوب إلى الحبشة.

وياتي المركز الثقافي الإسلامي المصري، والمكتبة الثقافية تحت المؤسسات التي لعبت دورا بارزاً في نشر اللغة العربية في الصومال، حيث ساهما في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية منذ ثلاثين عاماً، ودورهما كان يتمثل في المناشط التالية:

- فصول تعليم اللغة العربية.
- تقديم خدمات مكتبية، تحتوي على 22 ألف كتاب تتناول جميع العلوم الإنسانية.
- قيام محاضرات دينية ونشرات ثقافية، وعروض أفلام ومسلسلات دينية، كلها خدمة لتقوية اللغة العربية في أوساط المجتمع.[2]
- وهناك مراكز أخرى لها دور في نشر اللغة العربية في الصومال. ومن تلك المراكز أيضا دور الطرق الصوفية التي كان لها دورا ملموساً في الحفاظ على اللغة العربية، ونشرها في أوساط المجتمع الصومالي، بل وأن أشعار رواد الطرق الصوفية في الصومال أسهمت في حفظ اللعة العربية والثقافة الإسلامية.[3]

المحور السابع: التحديات التي تواجه اللغة العربية في الصومال

هناك تحديات كبيرة تواجه اللغة العربية في الصومال، ولها أثر واضح في تضعيف وجود ومكانة اللغة العربية بطريقة أو بأخرى في أوساط الشعب الصومالي، من أهم هذه التحديات:

أ- أزمة السياسة في الصومال، مما أدى إلى ضعف أداء الحكومات المتعاقبة من الناحية الثقافية، بل وإهمال المجال الثقافي.
ب- عدم توفر البيئة الطبيعية للغة العربية في الصومال.

1 - دراسة تقابلية بين اللغة العربية ولغة ماي الصومالية، مرجع سابق، ص: 33.
2 - محمد، حسن مكي، مرجع سابق، ص 168.
3 - أحمد، علي شيخ أبوبكر، الجهود المبذولة في حملة تقوية اللغة العربية في الصومال، الرباط، المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم، 1980 ، ص:20.

ت- عدم وجود سياسات تعريبية جادة لدى الأنظمة، وشكلية الجهود المبذولة في ذلك.
ث- كون الشعب الصومالي ناطقاً بغير اللغة العربية، وعدم وجود منهج خاص لهم، والاعتماد على مناهج اللغة العربية من البلدان الناطقة بها التي تهمل بعض الجوانب والظواهر اللغوية والتي لا تهمّ بأبناء العرب، بينما هي في غاية الأهمية بالنسبة لغير الناطقين باللغة العربية.
ج- ضعف اهتمام المنظمات العربية والإسلامية بنشر اللغة العربية في الصومال، وتوفير الآليات المناسبة في نشرها.

لهذا أصبح من الضروري بذل مزيد من الجهود من قبل الحكومة الصومالية، والمنظمات أو المؤسسات الدولية العاملة في هذا المجال، وكذلك الحكومات العربية من أجل تطوير أساليب تعليم وتعلم اللغة العربية في هذه المنطقة لتحتفظ بمكانتها وكذلك عمل الآتي:

1- تبني الصومال شعباً وحكومةً إعادة مكانة اللغة العربية في الصومال من جديد وفق خطط إستراتيجية معينة.
2- تشجيع المدارس والجامعات النظامية بل وأقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية العاملة في الصومال.
3- عقد ندوات ومؤتمرات مخططة حول تقوية اللغة العربية وأساليب تعلمها، وتذليل الصعوبات التي تواجه القائمين بتدريس اللغة العربية.
4- إيجاد مدارس ومناهج خاصة لتعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الصومال.
5- النظر في وضع مناهج ومقررات اللغة العربية في المدارس الأساسية والثانوية والجامعات في الصومال.
6- الاهتمام بأصحاب الثقافة العربية وتوفير فرص عمل لهم ليؤدوا دوراً ريادياً في نشر اللغة العربية وثقافتها.
7- تدريب المدرسين والإداريين العاملين في حقل التعليم تدريباً يؤهلهم في تأدية مسؤولياتهم تجاه اللغة العربية.
8- توجيه الباحثين إلى إجراء مزيد من الدراسات حول الموضوعات المتعلقة باللغة العربية وأهميتها، ومناهج تعليم وتعلم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، وحول إعداد هذه المناهج، وطبيعة المعلمين الذين يقومون بهذه المهنة.

9- فتح مراكز ثقافية ومكتبات عربية تقدم كل الخدمات الثقافية والمكتبية للقائمين على تعلم اللغة العربية وتدريسها بمختلف المستويات.
10- إنشاء قناة تلفزيونية وإذاعة تعليمية خاصة تهتمان ببث برامج معدة في تعليم وتعلم اللغة العربية بشكل دائم وفق رؤى وإستراتيجيات واضحة ومحددة.

هذا ونرجو الله عزّ وجل أن يعيد للغة العربية مجدها ومكانتها في جميع المجالات إنه نعم المولى ونعم المصير.

ختاما

من خلال العرض السابق، يتضح لنا أن الصومال دولة تقع في شرقي إفريقيا فيما يعرف بالقرن الإفريقي، يقدر سكانها بحوالى (12, 500, 000نسمة) ينتمي الشعب الصومال للجنس الحامي، وكلهم بلا استثناء مسلمون.

لقد أنشأ الموقع الجغرافي للصومال صلة قديمة وعلاقات وطيدة بينها وبين عرب شبه الجزيرة العربية، صلة ترجع إلى ما قبل ظهور الإسلام وذلك بسبب التجارة قديما وحديثاً، وأن اللغة العربية لم تكن غريبة ودخيلة على الشعب الصومالي، فقد بدأت تنتشر في الصومال قبل وصول الإسلام إليها، ثم تدفق الهجرات العربية إليها.

وقد أُستخدمت اللغةُ العربيةُ في مجال التعليم والتجارة والشؤون القضائية والتأليف والمراسلات والطب، وحظيت اللغة العربية باحترام كبير من جانب الصوماليين، بل وأصبحت لغة رسمية في البلاد قبل كتابة اللغة الصومالية.

هذا وتعتبر الفترة ما قبل الاستعمار، وفي بداية فترة انهيار الحكم المركزي إلى عام 2009م من أفضل المراحل التي مرت بها اللغة العربية، بل وفي عصرها الذهبي.

هناك عوامل ساعدت على انتشار اللغة العربية في ربوع الصومال، وأهمها موقعها الجغرافي المتاخم للجزيرة العربية، دخول الإسلام فيها مبكراً، ثم مواقف وطبيعة المجتمع الصومالي، واهتمامه باللغة العربية كوازع ديني يشترك فيه الجميع، وتعتبر انضمام الصومال إلى جامعة الدول العربية حدثا تاريخيا وفصلا جديدا للغة العربية.

وهناك مؤسسات ساهمت في نشر اللغة العربية، بل وأبرزت مكانة اللغة العربية في المجتمع، منها: مدارس تحفيظ القرآن الكريم- الكتاتيب- وتعتبر الخلوة القرآنية

أول مؤسسة تعليمية في الصومال، وتأتي المساجد بعدها، وهي أيضا من أهم المؤسسات التي لعبت دورا رياديا في تعليم وتعلّم اللغة العربية بل ونشرها بصورة واسعة النطاق ومنقطعة النظير.

وفي الآونة الأخيرة تواجه اللغة العربية تحديات ومؤثرات أهمها أزمة السياسة في الصومال، عدم توفر البيئة الطبيعية لها، وغياب اهتمام المنظمات العربية والإسلامية بنشرها، مما يؤثر سلباً على مستقبل اللغة العربية في الصومال.

قائمة المراجع والمصادر

1- تغريد السيد عير، دراسة صوتية لظاهرة الاقتراض من العربية، أعمال الندوة الدولية، مطبعة جامعة القاهرة، 1987م.
2- جامع عمر عيسي، تاريخ الصومال في العصور الوسطى والحديثة، بدون (ط)، مطبعة الإمام، القاهرة، 1385هـ – 1965م.
3- جمهورية الصومال، اللغة العربية في الصومال، وقائع الندوة العلمية مقديشو،ط1، الرباط، 1986م.
4- حسن مكي محمد، السياسات الثقافية في الصومال الكبير، ط1، دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة، الخرطوم 1410هـ – 1990م.
5- حمدي الطاهري، قصة الصومال، ط1، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1977م.
6- ديرية ورسمة أبكر، تاريخ اللغة العربية في الصومال، الوثيقة العاشرة لحملة تقوية اللغة العربية في الصومال، 1980.
7- رابطة تعليم النظامي الأهلي في الصومال، وثيقة تعريفية للرابطة، مقديشو بدون تاريخ.
8- سيد أحمد يحيى، الصحوة الإسلامية في إفريقيا، ط2، الناشر والمكان (بدون)، 1417هـ ــ 1996م.
9- صالح محمد على، أصول اللغة الصومالية في العربية، ط (بدون)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1994م،.
10- عبد الرحيم علي محمد، ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا، الخرطوم، مركز البحوث والترجمة، 1988م.
11- عبد الرزاق حسين، المسح اللغوي في الصومال، ط(بدون) الدوحة: الشركة الحديثة للطباعة، 1991م
12- عبد الناصر محمد معلم، الأخطاء التداخلية في التعبير الكتابي لدى الطلاب الصوماليين، رسالة ماجستير غير منشورة، الخرطوم، 2003.
13- علي شيخ أبوبكر، الجهود المبذولة في حملة تقوية اللغة العربية في الصومال، الرباط، المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم، 1980.
14- علي أبوبكر، الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي، ط1، دار الأمية للنشر الرياض، 1405هـ

15- علي الشيخ أحمد، الصومال وجذور المأساة الراهنة، دار بن حزن، بيروت 1992م
16- فوزي محمد بارو، دراسة تقابلية بين اللغة العربية ولغة ماي الصومالية، رسالة ماجستير، الخرطوم، 2003م.
17- ---------- الألفاظ العربية المقترضة في اللغة الصومالية، الخرطوم، 2009م
18- مجدي نصيف، ثورة الصومال، ط1، مكتبة مدبولي، مكان (بدون)، 1974م.
19- محمد حسين معلم، الثقافة العربية وروادها في الصومال، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، 2011م.
20- محمد زهير محمد، في ربوع الصومال، ط(بدون)، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1964م.
21- محمد عبد الغني سعودي، شخصية الصومال، المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية، ط(بدون) معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1982م
22- محمد عبد المنعم، الصومال وطناً وشعباً، ط(بدون)، ناشر (بدون)،
23- محمد على عبد الكريم وآخرون، تاريخ التعليم في الصومال، مقديشو، 1978.
24- محمد محمود أحمد محمدين، دراسات في الأدب الصومالي، د(ط) مطابع الأميرية، القاهرة 1392هـ 1973م – .
25- محمود اسماعيل عبد الرحمن " اللغة العربية كأداة للإعلام والتوعية في النضال الصومالي"، ندوة اللغة العربية في الصومال ،1986، الوثيقة الثالثة.
26- مقابلة مع الأستاذ شريف محمد عبد الله، رئيس رابطة التعليم الأهلي في الصومال، الخرطوم، 2002م.
27- مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الموسوعة العربية العالمية، ط2، الرياض 1419هـ – 1999م.
28- مؤسسة الإمام الشافعي، وضع اللغة العربية في الصومال، تقرير دوري، مقديشو، 1996م.
29- وزارة التربية والتعليم، حول السياسة العامة للتعريب في الصومال، وثيقة، مقديشو، 1980

30- يوسف الخليفة أبوبكر ، اللغة العربية في أفريقيا، اللغات في أفريقيا، ط1، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، 2006م.